

بسم الله الرحمن الرحيم

نبذة يسيرة عن حياة محدث الجزيرة

مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله

الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، أما بعد:

فقد اهتم العلماء في القديم والحديث بالترجمة لعلماء الإسلام، لما في ذلك من شحذ الهمم، وثبات القلب، والتخلق بما حباهم الله به من الأخلاق الكريمة، والصفات النبيلة، والهمم العالية الرفيعة.

وقد قال تعالى لنبيه محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنَبِّئُ بِهِ فُقَادًا﴾ [هود: ١٢٠]، وهكذا القول في العلماء ورثة الأنبياء والرسول عليهم الصلاة والسلام. قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «إن الإحاطة بتراجم أعيان الأمة مطلوبة، ولذوي المعارف محبوبة، ففي مدارس أخبارهم شفاء للعليل، وفي مطالعة أيامهم إرواء للغيل، فأى خصلة خير لم يسبقوا إليها؟ وأي خطة رشد لم يستولوا عليها؟» «إعلام الموقعين» (١٥/١).

ومن علماء الإسلام المجددين لمعلمه في هذا العصر الذين عمَّ نفعهم وعظَّم خيرهم وانتشر علمهم في مشارق الأرض ومغاربها محدث اليمن والجزيرة العلامة الإمام مقبل بن هادي الوادعي رَحِمَهُ اللهُ.

فقد شيد الله بهذا الشيخ معالم التوحيد والسنة بعد أن خبت أنوارها، ووهت أركانها، فأوضح الله به السبيل، وأنار به الطريق، وأبرز به سبيل الهداية لمن أراد أن يسلكها، بما انتشر وذاع وتعدى البلاد اليمنية إلى أصقاع شتى من أصقاع الأرض.

وهذه نبذة مختصرة من نفيس سيرته رَحِمَهُ اللهُ استللتها من ترجمة لي موسعة حوله، مع شيء من الإضافة.

اسمه ونسبه

هو أبو عبد الرحمن مقبل بن هادي بن مقبل الهمداني الوادعي من وادعة دماج من آل راشد.

ولادته ونشأته

وُلدَ الشيخ عام (١٣٥٢هـ) تقريبًا في قرية «دماج» التابعة لمحافظة «صعدة»، ونشأ يتيماً فعاش في حضان والدته فترة من الزمن، ثم ماتت عنه رحمها الله قبل أن يصل إلى سن البلوغ، وكانت تحثه على العمل في الأرض، وهو يقول لها معرضاً عن ذلك: «سأذهب أدرس»، فتقول له: «اللَّهُ يهديك»، كما في «نبذة مختصرة» (ص: ١٨)، لابنة الشيخ أم عبد الله.

زوجاته وأبناؤه

للشيخ رَحْمَةُ اللَّهِ ثلاث زوجات. وأما ذريته فله ابنتان كلاهما من زوجته الأولى أم عبد الرحمن. وقد كان حريصاً على تعليمهما، قالت ابنته أم عبد الله: كان الشيخ يسجل لنا السورة من القرآن بصوته حتى نحفظها، وذات مرة عندما كان يبني في بيتنا نسي أن يسجل لنا؛ فذهبت أنا وأختي إليه بالمسجل؛ فأخذنا إلى تحت شجرة فسجل لنا السورة، ثم رجعنا إلى المنزل وعاد إلى عمله.

وظيفة الشيخ قبل طلبه للعلم

كان الشيخ رَحْمَةُ اللَّهِ قبل معرفته بالسنة موظفاً في (هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) التابعة لدولة آل حميد الدين، وكان له هيبة شديدة بحيث إذا رآه الراقصون مع النساء فروا منه وتركوا ذلك، كما في رسالة «رحلات دعوية للشيخ الوادعي».

رحلته في طلب العلم

من فضل الله على الشيخ أن حُب إليه العلم من صغره؛ كما قال عن نفسه: «كنت محباً لطلب العلم منذ كنت صغيراً». شريط «السيرة الذاتية». وأول ما بدأ به الشيخ رَحْمَةُ اللَّهِ الدراسة في المكتب الذي يُدرّس فيه الأولاد الصغار، وتعلم القراءة والكتابة وحفظ نصف القرآن الكريم، ثم التحق بجامعة الهادي مكث فيه مدة إلا أنه لم يجد من يعينه ويشجعه على طلب العلم. وإذا أراد الله أمراً هياً له الأسباب، فقد قَدَّرَ اللهُ للشيخ رَحْمَةُ اللَّهِ بعد ذلك الرحلة إلى أرض

الحرمين، فرارا من الحرب الدائرة آنذاك في اليمن بين الجمهورية والملكية، فكان يعمل هناك ويحضر بعض مجالس الواعظين.

قال الشيخ: «فكنت أسمع الواعظين ويعجبني وعظهم، فاستنصحت بعض الواعظين ما هي الكتب المفيدة حتى أشتريها؟ فأرشدني إلى «صحيح البخاري» و «بلوغ المرام» و «رياض الصالحين» و «فتح المجيد شرح كتاب التوحيد»، وأعطاني نسيخات من مقررات التوحيد، فعكفت على تلك الكتب وكانت تعلق بالذهن، لأن العمل في بلادنا على خلاف ما فيها خصوصا «فتح المجيد». «الترجمة» باختصار.

ثم فُتِحَ (معهد الحرم المكي)، برئاسة الشيخ عبد الله بن حميد رَحْمَةُ اللَّهِ وتقدم الشيخ للاختبار مع مجموعة من طلبة العلم، فنجح وتمَّ قبوله طالبا في المعهد عام ١٣٨٦هـ، فمكث فيه سبع سنوات.

ثم بعدها انتقل إلى الدراسة في «الجامعة الإسلامية» فدرس في «كلية الدعوة وأصول الدين»، وحرصا من الشيخ على وقته انتسب في نفس الوقت إلى «كلية الشريعة»، مكث في ذلك أربع سنين.

ولما انتهى من الدراسة في هاتين الكليتين، فُتِحَ قسم الدراسات العليا في (الجامعة الإسلامية) فالتحق بها الشيخ رَحْمَةُ اللَّهِ وكانت رسالته في الماجستير تحقيق كتابي: «الإلزامات» و«التتبع» للدارقطني رَحْمَةُ اللَّهِ، ونال بذلك شهادة الماجستير بدرجة عالية، حتى قال المشرف: «لو كانت الجامعة تمنح الطالب شهادة الدكتوراة من أول مرة لاستحقها الشيخ».

مشايخ الشيخ رَحْمَةُ اللَّهِ

لقد تتلمذ الشيخ على عدة مشايخ وعلماء على رأسهم:

١- سماحة الإمام العلامة عبدالعزيز بن باز رَحْمَةُ اللَّهِ، كان الشيخ يحضر له دروسًا في «صحيح مسلم في «الحرم المدني».

٢- محدث العصر العلامة الإمام محمد ناصر الدين الألباني رَحْمَةُ اللَّهِ، كان الشيخ يحضر جلساته الخاصة بطلبة العلم في «الجامعة الإسلامية» حين كان الإمام الألباني يزور الجامعة؛ لأن الشيخ رَحْمَةُ اللَّهِ لم يدخل الجامعة إلا بعد رحيل الألباني عنها.

٣- الشيخ العلامة حماد الأنصاري رَحْمَةُ اللَّهِ، وقد قال في شيخنا: «ما رأيت مثله في

النشاط وطلب العلم».

وقال رَحْمَةُ اللَّهِ مُحَمَّدُ الشَّيْخِ رَحْمَةُ اللَّهِ: «أرجو أن تكون في هذا الزمان كالشوكاني في زمانه». «المجموع في ترجمة الأنصاري» (٦٠٧/٢).

٤- الشيخ العلامة عبد الله بن مُحَمَّد رَحْمَةُ اللَّهِ (ت ١٤٠٢هـ) درس عنده الشيخ في «الحرم المكي».

٥- الشيخ المحدث محمد بن عبد الله الصومالي رَحْمَةُ اللَّهِ، قال الشيخ: «حضرت عنده نحو سبعة أشهر أو أكثر، ومنه استفدت كثيراً في عِلْمِ الحديث».

٦- السيد محمد الحكيم المصري رَحْمَةُ اللَّهِ، وهو المشرف على رسالة الشيخ الماجستير.

٧- الشيخ العلامة عبد المحسن العباد حفظه الله، ذكر الشيخ أنه تتلمذ عليه بالأسئلة، قال الشيخ: «على أن أكثر استفادتي من الكتب فليبلغ الشاهد الغائب».

طلاب الشيخ رَحْمَةُ اللَّهِ

أما طلاب الشيخ رَحْمَةُ اللَّهِ فقلما يساويه عالم في هذا العصر بل وعصور سابقة؛ فهو مجدد الرحلة حقا في هذا العصر؛ فطلابه بلغوا عشرات الآلاف من مختلف الجنسيات من شتى بقاع العالم، قلَّ أن تخلو منهم دولة، وقد قدَّر غير واحد ممن لازم الشيخ أنه قد تتلمذ على يديه خلال تدريسه في دماغ حتى توفاه الله ما يزيد على مائة ألف طالب علم.

وقد نبغ عدد كبير من هؤلاء الطلاب، وصار منهم العلماء والخطباء المصقعون والمؤلفون والمحققون والدعاة المصلحون، وانتشروا كالغيث في ربوع الأرض، ونهضوا بدعوة طيبة في أنحاء العالم، والفضل في ذلك لله، يختص برحمته من يشاء، وهو ذو الفضل العظيم.

من صبر الشيخ رَحْمَةُ اللَّهِ على العلم والتعلية

تحمل الشيخ في سبيل طلب العلم أنواعاً من المشاق والمتاعب، فعند طلبه للعلم في «جامع الهادي» كان يبلى الخبز اليابس الذي مرَّ عليه أيام وقد خاط عليه العنكبوت بالماء ليأكله بعد ذلك، ليتم له الاستمرار في طلب العلم.

ولما رحل من «الرياض» إلى «مكة» لطلب العلم لم يكن عنده من المال إلا ما يكفيه لركوب السيارة وشيء من التمر، فكان يجرس في عمارة في «مكة» إلى منتصف الليل، ويطلب

العلم في بقية الأوقات، بصبر عجيب، بحيث كان ينسى بعض المعلومات بسبب ما يحصل له من الإرهاق، كما ذكر ذلك عن نفسه رَحْمَةُ اللَّهِ.

كما قام الشيخ ببيع بعض أثاث منزله من أجل شراء بعض الكتب، ومن ذلك بيعه ذات مرة أثاث البيت الذي يجلس عليه من أجل شراء كتاب: العلل لابن أبي حاتم. وأما صبره على التعليم. فقد كان ذا صبر عجيب في ذلك، وقد رآه الشيخ أحمد الوصابي - حفظه الله - ذات مرة متعباً؛ فقال له: يا شيخ: لو تجعل واحداً يُدرِّس مكانك وتستريح، فقال له الشيخ رَحْمَةُ اللَّهِ: «لن أترك هذه الوجوه التي جاءتني من أقطار الأرض؟! والله لو ميتٌ على الكرسي ما تركت التدريس!».

محاسبته لنفسه

كان الشيخ رَحْمَةُ اللَّهِ كثير الذم لنفسه والمحاسبة لها، فكثيراً ما يقول: «والله إننا لسنا راضين عن أنفسنا»
وأخرى يقول: «أما إخلاصي وضعيف».
وأخرى يقول: «الذي يتهمنا أننا مقصرون متساهلون أشهد لله أنه هو الصادق». «قمع المعاند» (٣٢٦).

ويرد الفضل في نشر هذه الدعوة المباركة إلى الله، فكثيراً ما يردد على مسامعنا: «إن انتشار هذه الدعوة ليس بحولنا ولا بقوتنا ولا بشجاعتنا ولا بفصاحتنا ولا بكثرة علمنا ولكنه أمر أراد الله فكان».

ويقول للعلامة الوصابي رَحْمَةُ اللَّهِ: «الجموع فتنة يا أبا إبراهيم».
ويقول: «نخشى على أنفسنا من الرياء ولسنا سالمين منه، ونخشى على أنفسنا من الغرور ولسنا سالمين منه».

وعند أول ظهور شيبة في لحيته قبض على لحيته وقال: «ماذا قدمت للإسلام يا مقبل؟».
ويأمر أحد الأطفال الصغار إذا قرأ شطر البيت الشعري: (ليس المدرس مخلصاً) أن يشير عند قراءته أمام الناس بأصبعه إلى الشيخ!

من كرم الشيخ رَحْمَةُ اللَّهِ

كان الشيخ رَحْمَةُ اللَّهِ آية من آيات الله في الكرم والجود والسخاء بكل أنواعه، بعلمه، أو بماله، أو بنفسه، أو بجاهه، لا يدخر شيئاً من ذلك في سبيل الله، فيما نحسبه والله حسيبه. فمزرعته الكبيرة التي ورثها من أبيه وقفها مساكن لطلاب العلم، فبنيت فيها مئات البيوت لأصحاب الأسر.

وكان له سيارة في بداية الدعوة فقصرت به النفقة، فباعها، وجعل المال عند بعض أصحاب البلاد يصرف عليهم منه، وجعل الله في ذلك المال بركة عظيمة. وقال ذات مرة في درس العام وهو يناشد الطلاب: «إذا قدم ضيف ولم يُوجد من يستقبله ممن خُصوا لذلك، فعلى من وجده أن يقوم بإكرامه وضيافته، ثم يأتي إلي وسأعطيه ما بذله لذلك الضيف».

وكان إذا جاءه طالب حاجة وكان أمره ميسوراً أعطاه أكثر من حاجته. وكان يعطي الطالب المال من غير عدٍّ لأنه لا يحسن أن يعد الفلوس وبالأخص إذا اختلفت عليه الفئات، وحتى لا يخرج الطالب. والأخبار عنه في هذا كثيرة.

زهد الشيخ رَحْمَةُ اللَّهِ

كان الشيخ رَحْمَةُ اللَّهِ آية من آيات الله في الزهد، أمثاله من الزهاد في هذا العصر قليل، عرف زهده العدو والصديق، حتى قال أحد خصومه عنه: «ما منا أحد إلا وقد مال بالدنيا ومالت به إلا هذا الرجل».

فبيت الشيخ بيت متواضع مبني من الطين ليس بذاك الاتساع في غرفه، ولما وُصِفَ بيته للعلامة الألباني رَحْمَةُ اللَّهِ قال: «هذه حياة المحدثين».

وقد حاول أحد التجار مع الشيخ أن يبني للشيخ بيتاً من الطوب والأسمنت ليسلم الشيخ من الغبار ونزول المطر من السقف إلى داخل الغرفة، فوافق الشيخ على أخذ المال بشرط أنه هو الذي يتولى بناء البيت، فلما أخذ الشيخ المال، وسع به المسجد وبني له حجرة صغيرة من الطين فوق بيته، فجاء التاجر بعد مدة فقال للشيخ: أين البيت الذي قلت ستبنيه؟ فقال له الشيخ: ذاك بيتي وأشار إلى المسجد!

وقال مرة عن حقوق الطبع: «أخشى لو أخذتها أن يسيل لعابي إلى الدنيا».

وهكذا زهده في مطعمه. فالشيخ رَحْمَةُ اللَّهِ كان يأكل من جنس ما يأكل منه الطلاب، غير أنه في السنين الأخيرة من حياته ألزمه الأطباء بالاعتناء بما يأكله، فاستأذن الشيخ من الطلاب أن يأخذ كل يوم شيئاً من اللحم، قال: «وإن لم تسمحوا لي فسأصبر إن شاء الله». وبكى لهذا الموقف عدد من الطلاب، فكان بعد ذلك يضيف إلى طعامه شيئاً من الدجاج. ومن زهده عدم التفاته إلى المناصب والكراسي، فقد عرضت عليه بعض الوظائف الكبيرة فرفضها، وداس الدنيا بقدميه، بل قال رَحْمَةُ اللَّهِ: «والله لو دُعيتُ إلى أكبر كرسي فإنه لا يساوي عندي بعرة، بل إني أجد أن دعوتنا أرفع من الملك والرئاسة، نجد هذا بحمد الله في قلوبنا». «فتوى في وحدة المسلمين مع الكفار» (٩٤).

من ورع الشيخ رحمه الله

علماء أهل السنة بحمد الله من عهد الصحابة رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، إلى يومنا هذا هم أروع الناس وأبعدهم عن التلطيخ بفتن الدماء والأموال، والأخبار عنهم في هذا كثيرة جداً لا يتسع لها هذا المقام، ومن مواقف شيخنا الوادعي رَحْمَةُ اللَّهِ في باب الورع في الدماء قوله رَحْمَةُ اللَّهِ: «وقد قلت غير مرة: لو حدثت في اليمن فتنة واستطعت أن أهرب بديني إلى بلدة أخرى لفعلت، فلن أوجه بندقيتي - إن شاء الله - إلى مسلم يصلي بإذن الله تعالى» «المصارعة» (ص: ٤٥).

وكان الناس يتوافدون عليه أعداداً كبيرة بعد انتهاء المحاضرة لتقبيله والسلام عليه، مما يجعل الحراس يدفعونهم عنه حفاظاً عليه وعلى صحته، فخاطب الشيخ حراسه قائلاً: «لا توجعوا أحداً فوالله لأن أموت أهون من أن توجعوا واحداً بسببي».

ومن ورعه في الأموال أنه كانت تأتيه مبالغ كبيرة من الأموال خاصة به، فيأبى الشيخ رَحْمَةُ اللَّهِ أن يأخذها، بل يجعلها في المال العام للطلاب، ويقول: «إنما نُرَزَقُ بهم».

تواضع الشيخ رحمه الله

كان الشيخ رَحْمَةُ اللَّهِ رغم ما كساه الله به من المهابة والسمت ذا تواضع وانبساط جم. قال الشيخ عبد الله بن عثمان الذماري -حفظه الله-: «ما رأيت رجلاً من أهل العلم أعظم تواضعاً منه أبداً؛ فإنه كان متواضعاً جداً جداً، حتى لو قام طفل يعترض كلامه يفتح صدره له ويناقشه كما يناقش طالب العلم أو العالم».

وكان يمر في الطريق وربما يعترضه الصبيان فيصافحهم ويناقشهم ويتكلم معهم كما يتكلم مع الكبار فكان متواضعا في غاية التواضع.

وكان دائما إذا نزل به الضيف يأتيه حافي القدمين، وربما حمل ما أراد أن يقدمه للضيف على رأسه، يأتي بنفسه ويُقدِّمُ لضيفه الطعام».

قلت: ومن تواضعه الذي عرف به قبوله للحق ورجوعه عما أخطأ فيه، على يد الكبير والصغير، دون أنفة في ذلك.

ومن مواقف الشيخ رَحْمَةُ اللَّهِ فِي هَذَا الْبَابِ أَنَّ الشَّيْخَ رَحْمَةُ اللَّهِ قَالَ ذات مرة في الدرس العام مخاطبا طلابه: اذكروا لي أخطائي.

ومرة نبهه أحد الأبناء الصغار على خطأ حدث منه؛ فدعاها الشيخ على رؤوس الطلاب ليتكلم بهذا التنبيه أمام الجميع.

ويقول رَحْمَةُ اللَّهِ: «أنا أفرح غاية الفرح إذا بُيِّنَ لي خطي، سواء أكان من محب أم من عدو أم من صديق، فأنا أتوقع التنبيهات بصدر رحب، بل والله أفرح بها ولو عندي مال لجازيت، فمن ذا الذي لا يخطئ؟! فأنا أود أن ييسر الله بمن ينبه على خطي، فأنا أتوقع الردود والانتقادات وأقبلها بصدر رحب ولا أبالي والحمد لله». «غارة الأشرطة» (٢٩٤/١ - ٢٩٥) بتصرف.

حب الشيخ لطلابه وشفقته بهم

كان الشيخ رَحْمَةُ اللَّهِ شديداً يحب لطلابه والشفقة عليهم والرحمة بهم، فهو يعتبرهم بمنزلة أبنائه، ففي ذات مرة يسأل: «من أكثركم أبناء؟» - ثم يجيب الشيخ: - أنا أكثركم أبناءً لأنني أعتبركم أبنائي!!».

وأخرى يقول: «ليس لي أبناء - أي من الذكور - ولكن الله عوضني بكم».

وأخرى يقول: «أنا رضيت بكم يا طلبة العلم، لا أريد مقابلة صحفي ولا مسؤول ولا مشايخ قبائل».

ولقد شاهده غير واحد وهو يبكي عند قراءته لرسائل طلابه التي يشكون فيها بعض حاجاتهم، وقد شكوا إليه أحدهم مرض زوجته الشديد، فلم يجد الشيخ شيئاً يعطيه، ثم أخرج إليه سواران من ذهب وقال: «هذا الذي تملكه الأهل بعُه وعالج امرأتك».

وذات مرة اشتد الطلب بخروج الإخوة الليبيين من "دار الحديث بدماج"، فخرجوا جميعاً، العزاب والعوائل، لا يدرون أين يتجهون مع حالتهم الشحيحة، وكان هناك أخ طبيب بات مع الشيخ رَحْمَةُ اللَّهِ ليلة من أجل ضرب بعض الإبر، قال هذا الأخ: استيقظ الشيخ في الليل فزعا يبكي فحفت أن المرض قد اشتد عليه، فقلت: مالك يا شيخ؟ فقال: «الإخوة الليبيون يُخْرِجُونَهُمْ أين يذهبون؟!».

وذكر الشيخ ذات مرة أنه يكثر في الدروس من إلقاء الأسئلة على الإخوة الغرباء تسلية لهم لبعدهم عن أوطانهم.

وقالت إحدى زوجاته عنه: «يأتي العيد وهو قادر على شراء ثوب فلا يفعل مراعاة لشعور طلابه؛ لأنه يعلم أن أكثرهم لا يملكون قيمة ملابس لأطفالهم».

تشجيع الشيخ رَحْمَةُ اللَّهِ

أعطى الله شيخنا الوادعي رَحْمَةُ اللَّهِ حظاً وافراً في هذا الباب وفي بعث روح الاجتهاد وقوة العزيمة في قلوب طلابه، فيقول لبعضهم: قد صرت مستفيداً يا فلان!

ويقوم بعض الطلاب برفع أيديهم في الدرس ويخالف الشيخ رَحْمَةُ اللَّهِ في بعض المسائل الاجتهادية، فيحاول الشيخ إقناعه فإن لم يقتنع الطالب وكان له سلف يقول له الشيخ: «لك اجتهادك». فيشعر الطالب بروحانية وعدم احتقار لما أعطاه الله من الخير.

ويقدم بعض الطلاب بحثاً إلى الشيخ رَحْمَةُ اللَّهِ كي يراجع له، وربما كان البحث ركيكاً، فلا يواجهه الشيخ بالتحطيم بل يشجعه ويتعاون معه في إصلاح ما فيه من الخلل، ويقول لبعضهم: البحث الذي بعده سيكون أحسن منه إن شاء الله.

ويقول عن بعض المدرسين: احضروا عنده فدرسه فيه فوائد تشد لها الرحال.

ويقول أمام الطلاب: لولا أنني مشغول لحضرت درس فلان بن فلان!

ويقول: دروس فلان فيها فوائد عظيمة وأنا أستمع لها من البيت عن طريق السماع! ويحضر بعض دروس طلابه الذين ينوبون عنه جالساً من جملة الطلاب.

ومن تشجيع الشيخ ما ذكره الشيخ عبد العزيز السدحان -وفقه الله- أنه كان يحضر دروس الشيخ رَحْمَةُ اللَّهِ في الحرم المدني، وكان عمره آنذاك اثنا عشر عاماً، قال فقال لي الشيخ مقبل: هل تعرف الخطابة؟ فقلت له: لا، فقال لي: هل تحفظ سورة الفاتحة؟ فقلت له: نعم. فقال لي: هل

تحفظ خطبة الحاجة؟ فقلت له: لا. فقال لي: احفظ خطبة الحاجة، ثم قم واقرأ خطبة الحاجة وسورة الفاتحة ثم قل بعد ذلك: والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.
قال الشيخ السدحان: ففعلت ذلك، فقام الناس يحتفون بي بعد إنهاء الكلمة، فهذا يقبِّلني، وهذا يعطيني قلما، وهذا يعطيني ساعة! قال الشيخ السدحان: فمن ذلك اليوم تعلمت الخطابة بسبب تشجيع الشيخ مقبل الوادعي لي.

عزة نفس الشيخ وعفتها

كان الشيخ رَحْمَةً اللهُ آية من آيات الله في الحرية وعزة النفس والعفة وعدم تعريض نفسه أو دعوته لشيء من الذل والمهانة ولو أُعطي في سبيل ذلك الدنيا كلها.
ومن أخباره في ذلك أن جماعة من أصحاب «جمعية إحياء التراث» جاؤوا إليه ووعدوه بالمساعدة بشرط أن يكون عن طريق الحكومة، فقال لهم الشيخ: إن كنتم ستساعدون الدعوة بغير قيد ولا شرط، وإلا سيغنيننا الله عن مساعدتكم.
ووعدوا أحد التجار بالمساعدة بشرط أن يسكت عن بعض الأشياء، فأبى الشيخ وقال: «لن يضيعنا الله».

واستدعاه رئيس الجمهورية في وقته للمجيء إليه فقال له الشيخ: بشرط ما هناك وقوف في الأبواب؟ فقال له الرئيس: ما هناك وقوف في الأبواب.
وحاول معه مرار أن يعطيه شيئاً من المال فرفض الشيخ، وقال له: جئتكم ناصحاً لا طالباً.
ويقول: «إياك إياك أن ترخص لحيتك عند أبواب السلاطين ائذنوا للشيخ فلان وهو عند الباب يريد أن يدخل إلى المسؤول الفلاني!!! إياك أن تهين لحيتك وأن تهين العلم عند أبواب السلاطين، عليك أن تعتمد على الله سبحانه وتعالى». «المصارعة» (٧٠).
وقال: «نقل الصخر أو الضرب بالعصي أهون عندي من أن أقول: بقي كذا بقي كذا».

قوة ثبات الشيخ على الحق

قال شيخنا الفاضل عبد الله بن عثمان الذماري -حفظه الله-: «ما رأيت رجلاً في حياتي من أهل العلم أشجع منه، وأقوى منه للصدع بالحق، فهو إن وقف أمام الكبير أو أمام الصغير تكلم بالحق».

قلت: ومن مواقفه في ذلك أن الرئيس في وقته أراد أن يعطي الشيخ رَحْمَةُ اللَّهِ شَيْئًا للطلاب بشرط أن يوقع الشيخ على أن لا يتكلم على الضرائب؛ فقال له الشيخ: «لا أريد منك شيئًا وسأتكلم في الضرائب!».

وقال رَحْمَةُ اللَّهِ: «قد ذكرنا في غير ما شريط وفي غير ما كتاب أنه إذا عرف خطؤنا فنحن مستعدون أن نرجع، أما غير هذا فلسنا مستعدين أن نرجع حتى ولو كان صاحب مادة يقول: لا تذكروا هذه الكلمة وأنا مستعد أن أدفع لكم مليون. نقول له: مليونك لا يساوي عندنا بعرة. لا تقل: لا تذكروا هذه الكلمة، لا تقل: لا تذكروا كذا وكذا. فالحق لسنا مستعدين أن نتنازل عنه ولا أن نرجع عنه، أما إذا كنا مخطئين فالحمد لله نتراجع، وإلا فدعوتنا أغلى عندنا من أنفسنا ومن الذهب والفضة». «غارة الأشرطة» (٢٢٤/١).

وقال رَحْمَةُ اللَّهِ: «لو يمكن أن يشتروا سكوتنا بالملايين لفعلوا؛ لكن هيهات أن نسكت على باطل». «الرد الوجيه على أسئلة بيت الفقيه».

وقال رَحْمَةُ اللَّهِ: «دعوتنا وعقيدتنا أحب إلينا من أنفسنا وأموالنا وأبنائنا فلسنا مستعدين أن نبيعها بالذهب والورق، نقول هذا حتى لا يطمع فينا طامع ويظن أنه يستطيع أن يستميلنا بالدرهم والدينار، على أن ذوي السياسة يعلمون هذا عنا، من أجل هذا هم آيسون من أن يُطمِعُونَا بمناصب أو مال». «الترجمة» (١٨٢).

وقال رَحْمَةُ اللَّهِ: «لسنا مستعدين أن نبيع ديننا ولا نبيع دعوتنا ولو أعطينا اليمن كله، فالدعوة عندنا أعز من أنفسنا ومن أهلينا وأموالنا، ومستعدون أن نأكل ولو التراب، ولا نخون ديننا وبلدنا ولا نتلون». «الباعث على شرح الحوادث» (٥٧).
وكان يقول مرارا: «إذا ظهر لي الحق في مسألة قلت به ولو لم يبق معي في دماغ أحد».

حلم الشيخ وعفوه وصفحه وعدم انتقامه لنفسه

من أبرز الصفات الحميدة التي تحلى بها الشيخ رَحْمَةُ اللَّهِ، أنه كان لا ينتقم لنفسه بل كان كثير العفو والصفح والحلم في هذا الباب.

وكان الشيخ رَحْمَةُ اللَّهِ يقول: «ليس لدينا وقت للمدافعة عن أنفسنا لكن عن السنة لو تعاضضنا بالضرور». «فضائح ونصائح» (ص ١٥٤).

ويقول: «أنا أحقر من أن أدافع عن نفسي، أما سنة رسول الله ﷺ فلو تعاضضنا

بالضروس، لو لم يبق معنا إلا أسناننا» «الفواكه الجنية» (ص ١٦٨).
وفي ذات مرة أقعده شدة مرضه عن صلاة التراويح في رمضان، فلما خطب عيد الفطر
قال: «بما أني ما استطعت أن أقوم رمضان فإني أشهدكم أن من تكلم علي في مجلس أو
كتاب أو جريدة أو غيرها فأنا مسامح له فلا يأتيني ويعتذر إليّ». وقال بعض طلابه: «جئناه مرة فقلنا له يا شيخ فلان -من الطلاب- يتكلم فيك ويؤذي
إخوانه، فقال: أما أنا فلا يضر، لكن لا يؤذي إخوانه».

همة الشيخ العالية في الدعوة إلى الله

إن الدعوة إلى الله تعالى وتجديد ما انطمس من معالم هذا الدين هو أهم شيء في الحياة
تسمو إليه همة الشيخ العالية، فيما نحسبه والله حسيبه.
يقول الشيخ رَحْمَةُ اللَّهِ: «إننا في أمس الحاجة إلى أن نعتبر أنفسنا مجددين وأن نبدأ الدعوة
من جديد». ويقول رَحْمَةُ اللَّهِ: «نحن حريصون على نهضة علمية في بلدنا وعلى أن نصدر علماء ودعاة إلى
الله».

وقال رَحْمَةُ اللَّهِ: «الذي يهْمُنَا هو صلاح عقيدة المسلمين» «غارة الأشرطة» (٣٨٧/٢).
وقال رَحْمَةُ اللَّهِ: «نريد أن نظهر جميع البلاد الإسلامية من البنوك الربوية ومن الاختلاط
ومن التبرج والسفور». «إجابة السائل» (٢٨٩).
وقال رَحْمَةُ اللَّهِ: «ينبغي أن تدخل الدعوة إلى الدوائر الحكومية وإلى كل مكان». «إجابة
السائل» (ص ٢٦٢).
وكان يأمر المبتدعة على جميع أصنافهم بالرحيل من اليمن؛ لأن اليمن بلد سنة لا مجال
لمبتدع للبقاء فيها. فلله دَرُّ الشيخ ما أقوى جأشه وأعلى همته!

ثناء العلماء على الشيخ رَحْمَةُ اللَّهِ

ثناء أهل العلم على الشيخ رَحْمَةُ اللَّهِ كثير جدا، وقد رأيت الاقتصار هاهنا على شيء من
ذلك.

ففي كتاب «الإمام الأملعي» (ص: ٢٠٦) عن أحد اليمنيين أنه طلب من سماحة الشيخ ابن

باز رَحْمَةُ اللَّهِ شفاعة للدراسة في «الجامعة الإسلامية» فقال له سماحة الشيخ: «عندكم الشيخ مقبل، هذا رجل أعلم مني محدث اذهب إليه».

ولما ذُكِرَ له ما وصلت إليه دعوة أهل السنة في اليمن من الخير، قال: «تلك من ثمرات الصدق والإخلاص»، نقله عنه العلامة الوصابي رَحْمَةُ اللَّهِ.

وقال الإمام الألباني رَحْمَةُ اللَّهِ: «لا يطعن فيه إلا أحد رجلين، إما جاهل أو صاحب هوى، فأما الجاهل يُعَلِّم، وأما صاحب الهوى فنسأل الله أن يهديه أو أن يقصم ظهره».

وقال رَحْمَةُ اللَّهِ: «أما بالنسبة للشيخ مقبل فقد وفقه الله توفيقاً عظيماً، ربما لا يُعْرَفُ له مثيلٌ -بالنسبة لبعض الدعاة الظاهرين اليوم على وجه الأرض-». «سلسلة الهدى والنور» (٨٥١).

وسأل الشيخ عبد الله بن عثمان حفظه الله العلامة العثيمين رَحْمَةُ اللَّهِ عن شيخنا رَحْمَةُ اللَّهِ فأجابه بقوله: «الشيخ مقبل إمام! إمام! إمام!»، كررها ثلاثاً.

وسأله بعضهم عن شيخنا رَحْمَةُ اللَّهِ فقال: «والله إني لأعتقد أن الشيخ مقبلاً إمام من الأئمة». وسأله عنه مرة أخرى، فقال: «هو يُسأل عني».

وحين وصل شيخنا في مرضه الأخير إلى الحرم المكي وقت أذان العشاء قام الإمام ابن عثيمين رَحْمَةُ اللَّهِ من كرسي تدريسه لمعانقته والسلام عليه إجلالاً له وتقديراً.

ووصفه مؤرخ اليمن العلامة محمد بن علي الأكواع رَحْمَةُ اللَّهِ في طرة كتاب أهدها للشيخ بتاريخ (١٤١٥/٤/٩هـ) وصفه: بالأخ العلامة الحافظ المحدث، هبة الله لليمن، المصلح الكبير».

وقال العلامة الفوزان -حفظه الله- كما في شريط «ولا تنازعوا»: «الشيخ مقبل رَحْمَةُ اللَّهِ درس في هذه البلاد في «الجامعة الإسلامية»، تعلم التوحيد، وذهب إلى اليمن ودعا إلى الله، ودعا إلى التوحيد، فدعوته طيبة، حسب ما سمعنا وحسب ما تَرَبَّبَ عليها من آثار، نفع الله به رَحْمَةُ اللَّهِ». ووصفه في موضع آخر بالعالم الجليل.

وقال العلامة ربيع المدخلي حفظه الله في كتابه «تذكير النابهين» (ص ٣٩٠-٣٩١):

«العلامة المحدث المجاهد مجدد الدعوة السلفية باليمن، الجبل النزيه العفيف الزاهد الشيخ مقبل بن هادي الوادعي الذي يُدَكِّرُنَا بسيرة السلف الصالح لا سيما الإمام أحمد رَحْمَةُ اللَّهِ».

وقال العلامة النجمي رَحْمَةُ اللَّهِ في كلمة ألقاها في أثناء زيارته لدار الحديث بدماج بعد وفاة الشيخ رَحْمَةُ اللَّهِ: «مَنْ خَلَّفَ مثل هذا لا يعتبر مات؛ فإنه قد أسس، وإنه قد أصلح، وإنه قد دعا، وإنه قد بذل جهداً نغبطه عليه، ونحسب أنه عند الله من فضلاء الأتقياء، ومن عِلْيَةِ

الأولياء، نحسبه كذلك والله حسيبنا جميعاً، ولكننا نرى هذا بأعيننا ونلمسه بجواسنا، ونعرف والحمد لله أنه عمل خيراً كثيراً، قَلَّ أن يصل إليه أحد. وما هذه المراكز التي انبثقت في اليمن جميعاً إلا حسنة من حسناته، وكل أصحاب المراكز من تلاميذه، وكلهم اقتدوا به».

وقال فيه شيخه السيد محمد الحكيم رَحِمَهُ اللهُ «لكنه لا ينظر إلى الشهادة، وإنما ينظر إلى العلم بجد ذاته، فهو رجل نسيح وحده، رجل لا تملكه في هذا العصر». «غارة الأشرطة» (٣٣٦/٢).

من حرص الشيخ على نشر العلم

كان الشيخ رَحِمَهُ اللهُ آية في الحرص على الوقت ونشر العلم النافع؛ فهو في غالب أوقاته إما يسأل ويفيد غيره، أو يُسأل من قِبَل غيره فيجيب، أو يقرأ أو يُدرِّس.

١) فالمسافة التي يقطعها من مؤخرة الحلقة إلى كرسي التدريس، يسأل خلال مروره العديد من الطلاب حتى يصل إلى الكرسي.

٢) عند رجوعه إلى البيت يسأل في طريقه في بعض الأحيان العديد من الطلاب حتى يخرج من المسجد، ويسأل كثيراً بعد صلاة الفجر من بجواره من الطلاب عن حديث درس العصر أو بين مغرب وعشاء.

٣) حتى يستغل الوقت في البيت يطرح الأسئلة في الدرس العام على النسوة قائلًا: «السؤال عند ربات الحجاب»، وحين وصوله إلى البيت يتولى أهله إفادته بما أجاب به النسوة عن هذا السؤال.

٤) في خلال السباحة في البحر وهم يسبحون ويتغامسون في الماء يلقي الشيخ رَحِمَهُ اللهُ عليهم الأسئلة والفوائد وهو على تلك الحال!

٥) في وقت الانتظار في صالة المطار يجمع الشيخ الحاضرين ويعلمهم ويتذاكر معهم في مسائل علمية حتى يأتي موعد إقلاع الطائرة.

٦) لا ينقطع الشيخ عن التدريس حتى في أيام العيد، قائلًا: «عيدنا دروسنا، فمتى استفدنا فذلك عيدنا».

٧) ذكر الشيخ الوالد محمد المحمدي حفظه الله أن الشيخ رَحِمَهُ اللهُ لما كان مغترباً في أرض الحرمين كان يحرص على الركوب في السيارة التي حوضها كبير ليستغل ذلك لتعليم

الراكبين ودعوتهم إلى الله تعالى.

من طرائف الشيخ رحمه الله

كان الشيخ رحمه الله كثير البشر والابتسام، طلق الوجه، منشرح الصدر، لين الجانب، حريصا على إدخال السرور على طلابه ومحبيه، يتودد ويتحجب إليهم، ويحاول إدخال السرور عليهم وإتحافهم بالفائدة بطريقة وبأخرى.

ومن طرائفه رحمه الله:

- ١- قوله لمن يجيب على السؤال: لله أنت، أنت الذي أجبت. ثم يسكت الشيخ قليلا حتى يتوهم المجيب أنه أصاب، فيرفع الشيخ هذا التوهم بقوله: وما أصبت!
- ٢- يسأل الشيخ عن حديث ضعيف، فيجيبه بعض الطلاب أنه ضعيف، فيقول الشيخ: رواه مسلم! ويصر الطالب على أن الحديث ضعيف لم يروه مسلم قط، حتى إذا عجز الطالب عن فهم مراد الشيخ ابتسم الشيخ وقال: رواه مسلم من المسلمين!
- ٣- وتارة يقرر الشيخ أن بناء المساجد على القبور سنة، فيستغرب بعض الطلاب من هذا الكلام ويقول: يا شيخ «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد». فيصر الشيخ على أنها على أنها سنة! حتى إذا عجز الطالب عن فهم مراد الشيخ ابتسم الشيخ وقال: سنة من سنن اليهود والنصارى!
- ٤- إذا رأى ناعسا في الدرس كثيرا ما يقيمه ويسأله عن حال حديث: «إذا جاءكم النعاس فأكرموه»، وربما سأله هل أتيت بأذكار النوم؟ أو هل أتيت بأذكار القيام من النوم؟
- ٥- إذا سها أحد في الدرس وسافر ذهنه خارج الدرس كثيرا ما يسأله الشيخ: هل أتيت بأذكار السفر؟ وربما قال له: أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم أعمالك!
- ٦- تسابق الشيخ مع أحد الطلاب في الوادي فسبقه الطالب، فلما كان في أحد الدروس سأله الشيخ عن مسألة فلم يجب عنها الطالب، فقال الشيخ: هذه بتلك!

من أقوال الشيخ رحمه الله

قال الشيخ رحمه الله: «لا يفلح طالب العلم حتى يجعل الدنيا لوقت فراغه». وقال رحمه الله: «اصبروا يا طلبة العلم فإنكم لن تحصلوا العلم إلا بالصبر». «قمع المعاند» (٣٥٤-٣٥٥).

وقال رحمه الله: «ينبغي لطالب العلم أن يهيئ نفسه لحل مشاكل العالم». وقال رحمه الله: «إذا أردتم أن يبارك الله في علمكم عليكم أن توزعوا أوقاتكم وقتا لطلب العلم، ووقتا للدعوة إلى الله، ووقتا للتأليف». «إجابة السائل» (٣٠٣).

وقال رحمه الله: «أنصح إخواني بالجمع بين أمرين: الاعتزال والدعوة، تعزل الشر وأهله، ثم تجد وتجتهد في الدعوة إلى كتاب الله وإلى سنة رسول الله ﷺ» «غارة الأشرطة» (٨٥/١).

وقال رحمه الله: «نحن في اليمن تعرفون أنهم يتقاتلون لأنفه الأسباب، نحن السني عندنا يساوي الدنيا، لا بد أن نتناصح وألا نعرض أنفسنا للفتن، وألا نعرض أنفسنا للصدام لا مع قبيلي ولا مع دولة ولا مع فلان: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾» «من فقه الإمام الوادعي» (٥٦/١).

وقال رحمه الله: «ليس شيء في هذا الزمن أنفع للإسلام والمسلمين من التعليم؛ لأنهم عند أن أعرضوا عن التعليم أصبحوا أتباع كل ناعق». «غارة الأشرطة» (٤٣٥/٢-٤٣٦).

وقال رحمه الله: «التعلم في المساجد فيه خير وبركة، وهل تخرج من تخرج من صحابة رسول الله ﷺ إلا من المساجد». «تحفة المجيب» (١٢٧).

وقال رحمه الله: «العمل المستمر له أثره، الرسول ﷺ كان عمله ديمة». «غارة الأشرطة» (٣٢٨/١).

وقال رحمه الله في علم الفرائض، وعلم الإملاء: «علم شهر لدهر».

وقال رحمه الله: «أنصحكم بمجالسة العلماء؛ فرب جلسة عند عالم خير من قراءة شهر».

وقال رحمه الله: «الاهتمام بشأن العقيدة أمر مهم جداً، فالمسلم بدون عقيدة لا يستطيع أن يثبت أمام أعدائه ولا أن يتصرف تصرفاً إسلامياً، فمن أجل هذا فنبيننا ﷺ بدأ بالعقيدة، وحياته كلها دعوة إلى العقيدة، والأحكام والأعمال متخللة لذلك». «قمع المعاند» (١٦).

وقال رَحْمَةُ اللَّهِ: «الذي أنصح به الدعاة على الله أن يحرصوا كل الحرص في دعوتهم أن يربطوا الناس بكتاب الله ورسنة رسول الله ﷺ، قبل أن تأمره بهدم القبر وقبل أن تأمره بترك التعامل مع البنوك الربوية: احرص كل الحرص أن تربطه بالله عز وجل ثم بكتاب الله ورسنة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وهدم القبر المرتفع بعد ذلك سهل سيتركه من نفسه! البنوك الربوية سيتركها من نفسه! التبرج والسفور آلات اللهو والطرب كل هذا سيزول» «إجابة السائل» (٣٢١).

وقال رَحْمَةُ اللَّهِ: «يا أهل السنة عليكم بالرفق؛ فقد جربنا الدعوة فما وجدناها نجحت إلا بالرفق». شريط «نصيحة الطالب بالصبر على المتاعب»
وقال رَحْمَةُ اللَّهِ: «حسن الخلق والمعاملة الطيبة، ربما تكون أبلغ وأبلغ من ألف موعظة»
«شريط أسئلة من لندن»

وقال رَحْمَةُ اللَّهِ: «إياكم إياكم أن تنفروا العامة عن دعوة أهل السنة، «بشروا ولا تنفروا ويسروا ولا تعسروا»، والأمر الذي لا تطبيقه لا تتدخل فيه، أنت قدمت على بلدة تسأل إخوانك في ماذا أتكلم؟ حتى لو رأيتهم حماسيين شديدين قالوا: تكلم في موضوع كذا وكذا، لك أن تتكلم فيما ترى أن ينفع ويغيظ الأعداء، الأعداء يغتاظون إذا خرجت المحاضرة سليمة بدون مهاترة، والله المستعان». «من فقه الإمام الوادعي» (٥١-٥٠/١).

وقال رَحْمَةُ اللَّهِ: «أما أنت وأنت داع إلى الله لا يكفي أن تحفظ موضوعا أو موضوعين أو ثلاثة ثم تنتقل بها في المساجد! لا بد -بارك الله فيك- أن تكون ملما بعقيدة أهل السنة والجماعة؛ فربما تواجه رجلا خارجيا يكفر المسلمين! أو تواجه رجلا جهميا معتزليا». «المصارعة» (٩٠).

وقال رَحْمَةُ اللَّهِ: «أنصح القائمين على الدعوة ألا يتسرعوا وألا يستفزهم الطائشون، فالطائشون سبب لضرب الدعوات». «غارة الأشرطة» (٣٠٦-٣٠٥/١).
وقال رَحْمَةُ اللَّهِ: «أي بلاد دخلتها الحزبية فهي مُعْرَضَةٌ للخراب والدمار» «غارة الأشرطة» (٤٦/١).

وقال رَحْمَةُ اللَّهِ: «نحارب الحزبية لأنها مساخة؛ فكم من شخص يكون مؤلفا وخطيبا وداعيا إلى الله وبعد أن يختطفه الحزبيون يموت، ويبقى إما رجل أناشيد! وإما رجل تمثيلات! إلى غير ذلك من الأمور المساخة» «غارة الأشرطة» (٧٣/١).
وقال رَحْمَةُ اللَّهِ: «إذا أردتم إفحام الخصوم فعليكم بملازمة العدالة».

وقال رَحِمَهُ اللهُ: «أخوف ما نخاف على دعوتنا هو من ذنوبنا».

وقال رَحِمَهُ اللهُ: «أعظم فتنة ابتلي بها المسلمون هو الخروج على ولاية الأمور، إنه أعظم عليهم من أعدائهم». «المخرج من الفتنة» (ص: ٢٤٨).

وقال رَحِمَهُ اللهُ: «نحن مأمورون بالمحافظة على الأمن، ولا تتم لنا دعوة ولا تعليم إلا إذا استقر الأمن». «الباعث على شرح الحوادث».

وقال رَحِمَهُ اللهُ: «لا تقوم السنة ولا تقوم لها قائمة إلا إذا حصل تَمَيُّزٌ، وتَمَيُّزُ أهل السنة من أهل البدعة». «غارة الأشرطة» (١٨٨/٢).

وقال رَحِمَهُ اللهُ: «التقليد صَدَّ الأمم المتقدمة عن اتباع رسلهم، وصَدَّ كثيرا من أمة محمد عن الكتاب والسنة». «إجابة السائل» (٣٢٧).

وقال رَحِمَهُ اللهُ: «يكاد أن يحترق دمي حين أرى المنكرات ولا أستطيع إنكارها».

وقال رَحِمَهُ اللهُ: «أنصح من أراد أن يُسَلِّمَ أن يقرأ عن الإسلام في الكتب، أما أن ينظر إلى حالة المسلمين فهي حالة سيئة» «غارة الأشرطة» (٢٣١/٢-٢١٤).

وقال رَحِمَهُ اللهُ: «لا ينبغي لطالب علم أن تخلو مكتبته من كتب الشيخ ناصر الدين الألباني». «المقترح» (١٨٨).

وقال رَحِمَهُ اللهُ: «وما رفع الله شأن أهل العلم إلا لأنهم يقفون أمام الباطل ويقولون للمصيب: أنت مصيب، ولصاحب الباطل: أنت مبطل» «تحفة المجيب» (ص ٢٧٣).

وقال رَحِمَهُ اللهُ: «الذين يطعنون في العلماء ستزول دعوتهم ويبقى العلماء». شريط: «حقيقة دعوة الشيخ مقبل».

وقال رَحِمَهُ اللهُ: «التنظيم الذي لا يخالف الكتاب والسنة أمر مطلوب، ولا بد من التنظيم، لكنهم اتخذوه وسيلة للحزبية، وأما التنظيم في حدود الكتاب والسنة فأمر لا بد منه». «قمع المعاند» (٤٠٣).

وقال رَحِمَهُ اللهُ: «مسألة السرية في هذا الزمن أفسدت الدعوة، وجعلت الناس يسيئون الظن بالدعاة إلى الله» «المصارعة» (٧٩-٨٠).

مرض الشيخ رحمه الله ووفاته

في ليلة السبت (١٥/٣/١٤٢١هـ) ألقى الشيخ رَحْمَةُ اللَّهِ دَرَسَهُ بين مغرب وعشاء كالمعتاد، فلما كان الصباح فوجئ الطلاب أن الشيخ قد أسعف قبل الفجر إلى "مستشفى الثورة" بـ "صنعاء"

ومن فضل الله على الشيخ أن هَيَّأَ له أحد كبار المسؤولين جناحاً خاصاً في أحد أديار المستشفى.

بقي الشيخ رَحْمَةُ اللَّهِ فِي الْمَسْتَشْفَى نحو شهر يفد إليه الزائرون من شتى بقاع اليمن بالآلاف، بل ومن خارج اليمن، بينما زاره عدد من كبار المسؤولين في الدولة، فيما زاره أيضا الأعداد الكبيرة والجموع الغفيرة من شتى بقاع اليمن من أهل السنة ومن غيرهم أيضا. حتى قال بعض الضباط: قد دخل المستشفى كذا وكذا من رجال الدولة ولم يحصل لهم من الزيارة كما حصل لهذا الشيخ!

ولكثرة الزائرين للشيخ رَحْمَةُ اللَّهِ فُتِحَ المجال لزيارة الشيخ في غير أوقات الزيارة المحدودة في المستشفى، فالزائرون يتوافدون عليه من بعد صلاة الفجر إلى وقت نوم الشيخ، لا يمنعهم من ذلك إلا كون الشيخ نائماً أو مع الأطباء. ثم انتقل الشيخ رَحْمَةُ اللَّهِ بعد ذلك إلى "السعودية" وَتَمَّ السماح له بشفاة من العلامة ابن عثيمين رَحْمَةُ اللَّهِ.

فاتجه الشيخ إلى مكة محرماً بعمرة، مكث فيها مدة والتقى بثلة من خيار العلماء كالعثيمين رَحْمَةُ اللَّهِ وغيره، وحج في ذلك العام.

ثم قرر الأطباء قبل وفاة الشيخ سفره إلى "ألمانيا"، فذهب إلى هناك (٧/٤/١٤٢٢هـ)، فابتلي بأسهال شديد، وقرر الأطباء أن صحته لا تتحمل العملية، كما قرروا سرعة رجوع الشيخ خشية أن يموت هناك.

فعرّف الشيخ الخبر فكتب وصيته بتاريخ (٢٠ ربيع الثاني لعام ١٤٢٢هـ) قبل وفاته بعشرة أيام، وفي ساعة حرجة أكرم الله الشيخ بالموافقة من الأطباء على رجوعه إلى السعودية بعد أن رفضت الشركة سفره حتى يعرض على طبيب خاص.

وحين وصوله إلى المستشفى التخصصي بمكة صلى المغرب والعشاء، ثم نام حتى الفجر، ثم

قام لأداء صلاة الفجر وفي الركعة الثانية فقد وعيه ساعتين ثم أفاق يسيراً، ثم فقد وعيه فما أفاق بعدها، مكث على هذه الحالة نحو أربعة أيام.

وفي ليلة الأحد (٢ جمادى الأولى من عام ١٤٢٢هـ) بين مغرب وعشاء لقنه الشيخ عبد العزيز الجهني الشهادة، فتحرك لسانه ثم ابتسم ابتسامة عريضة ملأت وجهه أدهشت الحاضرين ورفعوا أصواتهم بالتهليل والتكبير، وظن بعضهم أن الشيخ رَحِمَهُ اللهُ سيتكلم بعدها، ثم فاضت روحه بعدها مباشرة رَحِمَهُ اللهُ.

وذكر الشيخ أحمد الجباجي الوصابي حفظه الله أحد القائمين بغسل الشيخ رَحِمَهُ اللهُ أن هذه الابتسامة لم تفارق وجه الشيخ رَحِمَهُ اللهُ حتى بعد انتهائهم من غسله "الرحلة الأخيرة لإمام الجزيرة" (ص ٤٦).

(دَفْنُ الشَّيْخِ وَتَشْيِيعُهُ وَالصَّلَاةُ عَلَيْهِ)

كان مما أوصى به الشيخ رَحِمَهُ اللهُ أن يُدْفَنَ بجوار العالمين الجليلين ابن باز وابن عثيمين رَحِمَهُمَا اللهُ، ولما عُرِضَتْ هذه الوصية على الشيخ صالح بن حميد حفظه الله وافق عليها وتقبلها. وقد صلي عليه في الحرم المكي، وفي التكبير الثالثة سُمِعَ البكاء يعم أرجاء الحرم بالباكين والداعين للشيخ رَحِمَهُ اللهُ، وشهد جنازته عدد كبير جدا لا يحصيهم إلا الله، من مكة والمدينة وجدة وغيرها من البلدان، بحيث لم تصل الجنازة من الحرم إلى سيارة الإسعاف إلا بعد نصف ساعة من شدة الزحام، حتى استغرب رجال الشرطة من هذا الجمع المهيب، وسأل البعض: هل مات اليوم علينا شيخ أم ماذا؟

وحضر الدفن أيضا كتلة بشرية هائلة كما حضره عدد من العلماء، منهم الشيخ ربيع بن هادي المدخلي، والشيخ حسين الحكمي، والشيخ وصي الله بن عباس، وغيرهم من العلماء. وبالله التوفيق، وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ. جمعه/ أبو عمرو نور الدين بن علي السدعي شوال (١٤٣٩هـ).